

منظومة الرِّشَفَاتُ

المسماة

«رَشَفَاتُ شُرْبِ أَهْلِ الْكَمَالِ
وَنَسَمَاتُ قُرْبِ أَهْلِ الْوِصَالِ»

نظم الإمام العلامة

وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

نفعنا الله بعلومه

الديباجة

إِخْوَانَنَا بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنَّا إِلَيْكُمْ أَكْمَلُ السَّلَامِ
وَحَمْدُ رَبِّ عَمَّ بِالْإِنْعَامِ وَمَنْنَ بِالتَّفْضِيلِ وَالْإِفْضَالِ

وَحَقُّ وَدِّ ثَابِتٍ قَوِيمٍ بِوَفْقِ عَهْدِ بِالصَّفَاءِ قَدِيمِ
قَدْتَمَّ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْحَطِيمِ عَلَى الْوَفَا فِي الْحَالِ وَالْمَالِ

فَلَمْ نَزَلْ عَنْكُمْ بِهِ نَسَائِلَ نَشَرَ الصَّبَا وَنَسَمَةَ الشَّائِلِ
وَمَا أَتْنَا مِنْكُمْ الرَّسَائِلَ إِلَّا وَأَحْيَتْ سِرَّ بَالٍ بَالِ

وَذَكَّرْتَ جَمْعاً خَلا فِي جَمْعِ وَحَالَ قُرْبٍ مِنْ عُرَيْبِ الْجَزْعِ
وَحُلُو عَيْشٍ بَيْنَهُمْ فِي سَلْعِ بِهِمْ صَفَا فِي صَفْوَةِ اللَّيَالِ

وَهَاجَ شَوْقٌ فِي الْفُؤَادِ نَامِ لِجِيزَةِ الرُّكْنَيْنِ وَالْمَقَامِ
وَفِتْيَةِ الْبَطْحَاءِ وَالْخِيَامِ أَهْيَلِ سَفْحِ الْمُنْحَنِ وَالضَّالِ

أَكْرَمَ بِهِمْ فِي أَكْرَمِ الْأَوْصَافِ وَالطَّفِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَكْتِنَافِ
قَدْ شَرَّفُوا مَنَاقِبَ الْأَشْرَافِ وَقَدْ حَلَّوْا فِي أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ

هُمْ نَزَلُوا سِرًّا سُورِدًا قَلْبِي وَغَرَسُوا حُبَّ الْهَوَى فِي لُبِّي
فَمَلَكَوْا خَالِصَهُ مِنْ حُبِّي وَأَنْعَمُوا بِأَعْظَمِ الْأَمَالِ

فَمَا أُحْيَى مَا مَضَى مِنْ عُمْرِي وَمَا انْقَضَى فِي حُبِّهِمْ مِنْ دَهْرِي
فِي قُرْبِهِمْ مَا فِيهِ أَمْرٌ مُرٌّ بَلْ كُلُّ حَالٍ بِالْحُبُّورِ حَالِي

وَحَبَّذَا وَصْفٌ صَفَا فِي فَضْلِ فِي رَشَفَاتِ شُرْبِهِمْ فِي الْفَضْلِ
وَنَسَمَاتِ قُرْبِهِمْ وَالْوَصْلِ عَنْهُمْ بِمَا أَرْوِيهِ مِنْ أَقْوَالِ

فَلَيْسْتَمِعْ مَنْ كَانَ ذَا أَشْوَاقِ إِلَى صِفَاتِ الْقَوْمِ وَالْأَخْلَاقِ
وَلْيَتَّبِعْ فَالْحَقُّ سَاقٍ بَاقِ قَدْ عَمَّ كُلَّ الْخَلْقِ بِالنَّوَالِ

* * *

رَشْفَةٌ فِي ذِكْرِ شَرَابِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ نَشْرِ أَطْيَابِهِمْ

يَالَيْلَةَ مِنْهُمْ عَلَى الْكَثِيبِ طَابَتْ بِلاَ وَاشٍ وَلَا رَقِيبِ
نَالُوا الْمُنَى فِي حَضْرَةِ الْحَبِيبِ مِنْ نَظْرَةِ التَّقْرِيبِ وَالْإِيصَالِ

وَدِيرَ مِنْ خَمْرِ الْهَدَى كُؤُوسُ تُشْفَى بِهَا مِنَ الرَّدَى النُّفُوسُ
وَيُنَجِّلِي عَنْهَا الصَّدَى وَالْبُوسُ مَزَاجُهَا مِنْ سَلَسِيلِ حَالِ

شِفَاءً لِكُلِّ عِلَّةٍ وَإِثْمِ مِنْ كَرَمِ الْكَرِيمِ لَا مِنْ كَرَمِ
بَلْ مِنْ هُدَى وَحِكْمَةٍ وَعِلْمِ تُزِيلُ كُلَّ الشَّكِّ وَالْإِشْكَالِ

بِهَا حَيَاةُ الرُّوحِ وَالْجَنَانِ بِهَا تُذَاقُ صَفْوَةُ الْإِيمَانِ
فَيُعْرَفُ الْمُنْقُولُ كَالْعِيَانِ وَيُشْهَدُ التَّفْصِيلُ فِي الْإِجْمَالِ

تَفْتَحُ عَيْنَ الْقَلْبِ بِالْيَقِينِ وَتَشْرَحُ الصَّدْرَ بِمَعْنَى الدِّينِ
فَيَسْتَقِرُّ الْعَبْدُ فِي التَّمَكِينِ وَلَا يَزَالُ الْجَدُّ فِي إِقْبَالِ

يَخْلُصُ مِنْهَا الْجَوْهَرُ الْإِنْسَانِي مِنْ ظُلُمَاتِ الطَّبَعِ وَالْأَنْحَوَانِ
وَشَرُّ كَيْدِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَظُلْمَةِ الْأَوْهَامِ وَالْحَيَالِ

يَخْرُجُ مِنْ كُلِّ عَنَا وَبُؤْنٍ وَغَيْمِ كُلِّ حَادِثٍ وَدُونِ
إِلَى عُلُومِ عَالِمِ مَصُونٍ عَنْ خُلْفِ تَحْقِيقٍ أَوْ اخْتِلَالِ

يَذُوقُ فِيهَا لَذَّةَ الْفُتُوَّةِ مِنْ ثَمْرِ غَرَسِ الْوَحْيِ وَالنُّبُوَّةِ
يَصِيرُ مِرَاةَ هُدَى مَجْلُوءَةٍ بِهَا يَرَى مَا جَلَّ عَنْ مَقَالِ

فِيَامِتِزَاجِ سِرِّهَا فِي الْقَلْبِ وَرَقْمِ مَعْنَاهَا بِعَيْنِ اللَّبِّ
يَكْرَعُ مِنْ شُرْبِ حُمَيَّا الْقُرْبِ وَيَرْتَوِي مِنْ مَنَهْلِ الْكَمَالِ

إِنْ ظَهَرَتْ بِحَقِّهَا آيَاتُهُ انْصَبَغَتْ بِمُقْتَضَاهَا ذَاتُهُ
وَأَتَّصَفَتْ بِوَفْقِهَا صِفَاتُهُ فِي الْقَصْدِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ

فَالْعَبْدُ بِالْقَلْبِ مَدَارُ أَمْرِهِ فَحَيْثُ صَارَ سِرُّهَا فِي سِرِّهِ
سَارَ الْهُدَى فِي حُلُوهِ وَمُرِّهِ فِي الذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ

وَالْقَلْبُ إِنْ لَمْ يَصْفُ بِالتَّهْدِيبِ وَيَرْتَوِي مِنْ مَائِهَا الْعُذِيبِ

خَيْفَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ فِي التَّقْلِيْبِ فِي قَبْضِ أَوْ بَسْطِ إِلَى إِضْلَالِ

وَمَنْ يَكُنْ بِكُلِّ عِلْمٍ عَالِمٌ وَلَمْ يَذُقْهَا فَهُوَ سَاهٍ نَائِمٌ
فَخَفَ عَلَيْهِ مَا يَخَافُ الْهَائِمُ عِنْدَ كِفَاحِ الْمَوْتِ وَالْأَهْوَالِ

وَنِيلُهَا مِنْ مَنْحِ فَيْضٍ وَهَبِي أَوْ فَتْحِ فَضْلِ بَعْدِ جِدِّ كَسْبِي
لَا مِنْ رِوَايَاتِ الْوَرَى وَالْكَتُبِ وَلَا بِقِيلِ عِلْمِهَا أَوْ قَالِ

طُوبَى لِمَنْ طَابَ لَهَا اسْتِعْدَادُهُ وَانْحَلَّ مِنْ رِقِّ السَّوَى فُؤَادُهُ^(١)
فَحَلَّ فِي عَيْنِ الْحِجَا رَشَادُهُ فَذَاقَ مِنْهَا بَلَّةً بِبَالِ

فَبَلَّةٌ مِنْ كَأْسِهَا الْمُخْتُومِ تَمَلُّ رِيَاضِ الْقَلْبِ بِالْعُلُومِ
وَتَحْفَظُ الْفَهْمَ عَنِ الْوُهُومِ وَتُطَلِّقُ الْعَقْلَ عَنِ الْعِقَالِ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ حَالِي أَخَوَاهِمُ
وَنَسْمَةٌ مِنْ قُرْبِ وَصَاهِمُ

أَكْرِمُ بِأَقْوَامِهَا اسْتَجَابُوا وَطَابَ مَعْنَاهَا لَهُمْ إِذْ طَابُوا
ذَاقُوا حُمِيًّا كَأْسِهَا فَغَابُوا عَنِ الْوَرَى فِي حَضْرَةِ الْوِصَالِ

خَلَّوْا لَهَا كُلَّ هَوَىٍّ وَخَلَّهْ وَأَخْلَصُوا كُلَّ وَلَا وَخَلَّهْ
وَاتَّخَذُوا وَجْهَ الْحَبِيبِ قِبَلَهُ وَأَقْبَلُوا بِأَصْدَقِ الْإِقْبَالِ

فَرُّوا عَلَى تَجْرِيدِ مَعْنَى الصِّدْقِ وَأَفْرَدُوا الْقَصْدَ لِيُوجِهَ الْحَقُّ
فَوَصَّلُوا عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ وَاتَّصَلُوا بِأَفْضَلِ الْإِفْضَالِ

وَسَافَرُوا بِأَقْوَمِ اسْتِقَامَةٍ طَوَّوْا مَقَامَاتِ بِلَا إِقَامَةٍ
إِلَى بَقَاعِ الْفَيْضِ وَالْكَرَامَةِ وَمُسْتَوَى التَّنْزِيلِ وَالْإِنْزَالِ

وَنَزَّهُوا عَمَّا سِوَى الْمَحْبُوبِ نَوَاطِرَ الْأَلْبَابِ وَالْقُلُوبِ
فَامْتَلَأَتْ مِنْ بَاهِرِ الْغُيُوبِ وَأَشْرَقَتْ مِنْ بَهْجَةِ الْجَمَالِ

وَاتَّصَفُوا بِأَكْرَمِ الْأَخْلَاقِ
فِي حَضْرَةِ التَّقْدِيسِ وَالْإِجْلَالِ

صَفَوْا عَنِ الْأَكْذَارِ فِي الْأَذْوَاقِ
ثُمَّ اضْطَفَّوْا لِلْوَصْلِ وَالتَّلَاقِ

ثُمَّ تَحَلَّوْا كُلَّ مَعْنَى قُدْسِي
عِنْدَ مَلِيكَ فِي مَقَامِ عَالِ

لَمَا خَلَوْا عَنْ كُلِّ لُبْسٍ^(١) نَفْسِي
حَلُّوا بِرَوْضَاتِ الرِّضَا وَالْأُنْسِ

وَانْفَتَحَتْ مِنْ سِرِّهِ الْأَسْرَارُ
فِيهِ بِهِ فَوْقَ ذُرَى الْمَعَالِي

بَانَتْ لَهُمْ مِنْ نُورِهِ الْأَنْوَارُ
وَاتَّضَحَتْ سُبُلُ الْهُدَى فَسَارُوا

ثُمَّ كَسَاهُمْ مِنْ مَعَانِي قُدْسِهِ
فَهُمْ لَهُ وَهُوَ لَهُمْ مُوَالِي

أَحَبَّهُمْ فَاخْتَارَهُمْ لِنَفْسِهِ
وَعَمَّهُمْ بِجُودِهِ وَأُنْسِهِ

خَزَائِنُ الْأَسْرَارِ وَالْأَمَائِنُ
وَقَدْ عَلَوْا عَنْ مَطْمَحِ الْأَنْدَالِ

فَهُمْ لَهُ بَيْنَ الْوَرَى ضَنَائِنُ
قَدْ صَانَهُمْ عَنْ عَيْنِ كُلِّ خَائِنُ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ عَيْنِ جُودِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ تَعِينِ وَجُودِهِمْ

يَقُولُ قَوْمٌ عَنْ هُدَاهُمْ ضَلُّوا قَدْ عَدِمُوا فِي عَصْرِنَا أَوْ قَلُّوا
فَقُلْ لَهُمْ كَلًّا وَلَكِنْ جَلُّوا عَنْ أَنْ تَرَاهُمْ أَعْيُنُ الْجُهَّالِ

فَكَيْفَ يَخْلُو عَالَمَ الشَّهَادَةِ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ الْهُدَاةُ الْقَادَةُ
قَدْ حَفِظَ اللَّهُ بِهِمْ عِبَادَةَ وَصَانَهُمْ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ

فَهُمْ لِفَيْضِ فَضْلِهِ شُعُوبٌ تَحْيَا بِهِمْ بِنُورِهِ الْقُلُوبُ
وَتُغْفَرُ الزَّلَاتُ وَالذُّنُوبُ وَتُدْفَعُ الْآفَاتُ فِي الْأَهْوَالِ

فَوَصَفُهُمْ فَضْلٌ بِلا فُضُولِ وَعَرَفُهُمْ نَفْعٌ بِكُلِّ نَوْلِ
وَاسْتَتَرُوا بِجَنَّةِ الْخُمُولِ عِنْدَ ظُهُورِ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ

فَلا يَزَالُ الدَّهْرَ مِنْهُمْ قَوْمٌ بِسِرِّهِمْ أَمْرُ الْوَرَى يَقُومُ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ بِهِمْ تَدُومُ بِكُلِّ غَيْثٍ وَابِلٍ هَطَّالِ

بِعَرَفِهِمْ يَغْرِفُ عِطْرَ الْقُرْبِ كَلُّ مُحِبٍّ فِي هَوَاهُمْ صَبٌّ
بَسَمْتِ حَقٍّ مِنْ سِمَاتِ الْقُرْبِ وَذَوْقِ مَعْنَى جَلٍّ عَنْ جِدَالِ

إِذَا رُؤُوا يُشْهَرُ ذِكْرُ اللَّهِ فَهُوَ لَهُمْ سِيْمَا عَلَى الْجِبَاهِ
يُعْرِفُ مَعْنَاهُمْ بِلَا اشْتِبَاهِ مِنْ حَيْثُ مَا يُعْرِفُ ذُو الْجَلَالِ

لَهُمْ مِنَ التَّقْوَى أَجَلُ زِينَةٍ عِنْدَ لِقَاهُمْ تَنْزِلُ السَّكِينَةُ
وَتَحْصُلُ الْجَمْعِيَّةُ الْمُبِينَةُ فَتَجْدِبُ الْأَلْبَابُ بِانْفِعَالِ

حَالُ ذَوِي الدَّعْوَى لَهُمْ تَفَارِقُ بِنُورِ فُرْقَانٍ يَرَاهُ الذَّائِقُ
لَا بِارْتِفَاعِ الْجَاهِ وَالْحَوَارِقُ وَلَا بِحُسْنِ الوَعْظِ وَالْأَقْوَالِ

فَإِنَّهُمْ كُلُّ مُنِيبٍ خَاشِعٍ وَكُلُّ ذِي قَلْبٍ مُنِيرٍ لَامِعٍ
لَا مَنْ يُشِيرُ النَّاسَ بِالْأَصَابِعِ وَهُوَ عَنِ السَّرِّ الْمَصُونِ خَالِ

فَكَمْ خَفِي فِي الْخَلْقِ مِنْ مَسْكِينِ قَدْ امْتَلَأَ مِنْ صَفْوَةِ الْيَقِينِ
وَهَانَ بَيْنَ النَّاسِ ذُو طِمْرَيْنِ وَهُوَ لَدَى الْحَقِّ عَظِيمٌ عَالِ

وَهُوَ غِيَاثُ كُلِّ ذِي مَأْمُولٍ فِي أَفْضَلِ الْخِصَالِ وَالْأَحْوَالِ

وَكَمْ بِحُسْنِ الظَّنِّ مِنْ إِمْدَادٍ قَدْ نَالَهُ مَنْ كَانَ ذَا اعْتِقَادٍ
فِي خَامِلِ إِمَامٍ حَقُّ هَادٍ يَرُونَهُ النَّاسُ مِنَ الْجُهَالِ

فَإِنَّ فَيْضَ فَضْلِهِ فِي النَّاسِ جَلَّ عَنِ التَّقْيِيدِ وَالْقِيَاسِ
طُرُقُهُ بَعْدَ الْأَنْفَاسِ وَجُودُهُ جَارٍ بِكُلِّ حَالِي

فَلَيْسَ يَخْتَصُّ بِذِي أَنْسَابٍ وَلَا بِأَهْلِ الْجِدِّ وَالْأَسْبَابِ
بَلْ فَيْضُ فَضْلٍ مُنْعَمٍ وَهَابٍ فِيهِ النَّسَاءُ يُقْسِمْنَ كَالرِّجَالِ

فَوَيْحَ عَمْرِ شَامِتٍ بِالْحَقِّ يَقُولُ قَدْ مَاتَ رِجَالُ الصِّدْقِ
وَمَا بَقِيَ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي الْخَلْقِ إِلَّا رُسُومُ الْحَالِ مِنْ مَحَالِ

فَلَمْ تَزَلْ مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ وَنَفَحَاتِ الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ
سَوَابِغُ أَعْلَتْ ذَوِي نُقْصَانِ وَبَلَّغَتْ آمَالَ ذِي آمَالِ

كَمْ قَرَّبَتْ مِنْ مُعْرِضٍ وَقَاصِي وَانْقَدَتْ مِنْ زَائِعٍ وَعَاصِي
فَصَارَ بَعْدَ الْبُعْدِ ذَا اخْتِصَاصِ وَفَازَ بِالْقُرْبِ بِلاِ إِعْجَالِ

وَكَمْ دَنَّتْ مِنْ دَيْنِ ذِي جِدِّ
وَنَاهَا بِالصَّدَقِ وَالتَّصَدِّي
وَحَابَ مَنْ فِي غَفْلَةٍ وَبُعْدِ
لَمَّا تَمَنَّاها بِلا إِقْبَالِ



رَشْفَةٌ مِنْ رَشْحِ عُنْصُرِهِمُ الزَّكِيِّ
وَنَسْمَةٌ مِنْ رِيحِ عَنَبَرِهِمُ الذَّكِيِّ

وَلَمْ يَزَلْ لِلْحَقِّ سِرٌّ سَارٍ بِالْجُودِ وَالْأَلْطَافِ وَالْأَسْرَارِ
مِنْ عَالَمِ التَّقْدِيسِ وَالْأَنْوَارِ فِي عَالَمِ الْأَجْسَامِ وَالْأَشْكَالِ

وَذَاكَ بِالْفَضْلِ وَبِالْإِحْسَانِ سِرٌّ وَجُودِ الْجَوْهَرِ الْإِنْسَانِي
وَأَنَّهُ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ فِي الْأَرْضِ لِلتَّنْزِيلِ وَالْإِنْزَالِ

فَقَدْ كَسَاهُ عِلْمُهُ وَنُورُهُ وَخَصَّهُ مِنْهُ بِأَوْلَى صُورَةٍ
فَصَارَ خْتًا فِيهِ جَمْعُ الدَّوْرَةِ وَفِيهِ كُلُّ الْأَمْرِ بِالْإِجْمَالِ

وَقَدْ حَوَى فِي حَجْمِهِ الصَّغِيرِ كُلَّ مَعَانِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ
وَصَارَ فِي الْمَعْنَى وَفِي التَّصْوِيرِ كَنْسَخَةٍ فِي الْوَضْعِ وَالْمِثَالِ

فَخُصَّ بِالتَّفْضِيلِ وَالتَّكْرِيمِ وَخَلَقَهُ فِي أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ
وَنُورِ عَقْلِ حَاكِمِ حَكِيمِ أَطَاعَ فِي الْإِدْبَارِ كَالْإِقْبَالِ

فَحَمَلَ التَّكْلِيفَ وَالْأَمَانَةَ وَقَدْ أَبَاهَا غَيْرُهُ اسْتِكَانَةَ
فَأَعْلَى بِهَا فَوْقَ الْوَرَى مَكَانَهُ إِذْ كَانَ أَهْلًا لِلْخِطَابِ الْعَالِي

وَإِنْ يَكُنْ فِي الْجِسْمِ كَالْبَهِيمَةِ فَإِنَّ فِيهِ دُرَّةٌ يَتِيَمَهُ
لَطِيفَةٌ عُلْوِيَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ مِنَ الْجَلَالِ^(١)

سِرٌّ شَرِيفٌ بَاهِرٌ رَبَّانِي وَجَوْهَرٌ مُقَدَّسٌ نَوْرَانِي
مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ ذَوِي الْعِرْفَانِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا مِثَالِ

فَهِيَ مَحَلُّ الْفَضْلِ فِي الْإِنْسَانِ وَمَنْبَعُ الْأَسْرَارِ وَالْمَعَانِي
وَمَطْلَعُ الْأَنْوَارِ وَالْبَيَانِ وَمَنْزِلُ التَّنْزِيلِ وَالْإِنزَالِ

كَانَتْ هُدًى فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ فَابْتَلَيْتُ فِي قَالِبِ الْأَشْبَاحِ
بِحَالِي الْإِفْسَادِ وَالْإِصْلَاحِ وَجُنْدِي الْإِرْشَادِ وَالْإِضْلَالِ

وَصَارَ بَعْدَ النَّفْخِ وَالتَّرْكِيبِ وَحَالُهَا فِي كَثْرَةِ التَّقْلِيبِ
كَرِيْشَةٍ فِي الرِّيحِ فِي كَثِيبِ تَضْرِبُهَا خَوَاطِرُ الْأَمَالِ

وَعَادَ بَعْدَ الْمَرْجِ لِلْمَرْجِ وَالْحَلْطِ لِلْأَخْلَاطِ وَالْأَمْشَاجِ
إِمَّا لِنَقْصِ شَانَ فِي اعْوِجَاجِ أَوْ فِي نِظَامِ زَانَ فِي كَمَالِ

لِتَظْهَرَ الْأَحْكَامُ مِنْ حَكِيمِ فِي الشُّكْرِ أَوْ فِي الْكُفْرِ فِي النَّعِيمِ
وَالْحُلْدِ فِي الْجِنَانِ وَالْجَحِيمِ بِالْفُضْلِ أَوْ بِالْعَدْلِ فِي الْمَالِ

وَكَانَ فِي الْجِسْمِ تَمَامُ الْقُوَّةِ إِلَى اعْتِلَا مَعَارِجِ الْفِتْوَةِ
بِشَرْطِ تَقْيِيدِ الْهَوَى وَالشَّهْوَةِ بِالذِّينِ وَالْعِلْمِ بِكُلِّ حَالِ

وَأَحْسَنُ الْأَخْلَاقِ فِي الْإِنْسَانِ يَنَالُهَا مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي
إِذْ كَمُلْتَ بِأَحْسَنِ اتِّزَانِ وَانْتَضَمْتَ بِأَعْدَلِ اعْتِدَالِ

بِهَا يَصِيرُ الْعَبْدُ فِي الصَّلَاحِ وَرُوحُهُ فِي الْجِسْمِ بِالْفَلَاحِ
كَمِثْلِ مِشْكَاةٍ عَلَى مِصْبَاحِ زُجَاجَةٍ بِزَيْتِهَا تُلَالِي

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ عَذْبِ مَوْرِدِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ طَيْبِ مَشْهَدِهِمْ

فَمَنْ دَعَتْهُ دَعْوَةٌ مِنْ رَبِّهِ
نَالَ الْهَنَاءَ ثُمَّ الْمُنَى فِي قُرْبِهِ
فَأَخَذَتْ بِقَلْبِهِ وَلُبِّهِ
إِذْ صَارَ عَبْدًا خَالِصَ الْخِصَالِ

وَمَنْ سَعَى بِالْحَقِّ فِي اجْتِهَادِهِ
فَسَوْفَ يُعْطَى الْقَصْدَ مِنْ مُرَادِهِ
وَالصَّدْقُ فِي تَقْوَاهُ خَيْرُ زَادِهِ
بِقَرَعِ بَابِ الْجُودِ بِابْتِهَالِ

وَعَنْ شُرُورِ طَبِيعِهِ تَخَلَّى
وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى
ثُمَّ بِنُورِ شَرْعِهِ تَحَلَّى
مُسْتَقْبَلًا لِقِبْلَةِ الْإِقْبَالِ

أَسْلَمَ بِالْإِسْلَامِ عَنْ دَعْوَاهُ
فَصَارَ حَقًّا كُلَّ مَا حَوَاهُ
وَأَنْحَلَّ فِي الْأَحْكَامِ عَنْ هَوَاهُ
لِلْحَقِّ فِي الْحَقِّ بِلا انْفِصَالِ

وَصَارَ فِي الْإِيمَانِ ذَا أَمَانِ
وَنَالَ فِي الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ
وَبَارْتِفَاعِ الشَّكِّ ذَا اطمِئنانِ
مَرَاتِبَ الْحُسْنَى عَلَى اتِّصَالِ

وَكُلَّ حِينٍ وَهُوَ فِي زِيَادَةِ عَلَى التُّقَى يَرْقَى ذُرَى السَّعَادَةِ
فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْعِبَادَةِ وَيَعْتَلِي كُلَّ مَقَامِ عَالٍ

حَتَّى صَفَتْ أَوْصَافُهُ الْقُدْسِيَّةَ مِنْ الْهَوَى وَالشَّهْوَةِ النَّفْسِيَّةِ
وَمِنْ قِيُودِ الْعَادَةِ الْحِسِّيَّةِ صَارَ صَفِيَّ الْحَقِّ صَافِي الْبَالِ

وَلَمْ يَزَلْ يَقْرُبُ مِنْ مَوْلَاهُ بِكُلِّ نَفْلٍ يَبْتَغِي رِضَاهُ
حَتَّى تَوَلَّى كُلَّ مَا وَالَاهُ وَصَارَ مَوْلَاهُ لَهُ مُوَالٍ

وَنَالَ أَسْنَى رُتَبَةٍ وَقُرْبَهُ مِنْ الْهُدَى وَالذِّينِ وَالْمَحَبَّةِ
وَصَارَ فِي كُلِّ انْتِمَاءٍ وَنَسَبِهِ لِلْحَقِّ بِالْحَقِّ بِلا انْتِقَالِ

وَكَانَ مَوْلَاهُ لَهُ فِيهَا خَطَرُ يَدًا وَرِجْلًا ثُمَّ سَمْعًا وَبَصَرُ
إِنْ اسْتَعَاذَ عَاذَهُ مِنْ كُلِّ شَرِّ وَإِنْ دَعَا أَجَابَهُ فِي الْحَالِ

لَمَّا بِأَوْصَافِ النَّدَى تَعَلَّقُ ثُمَّ بِأَهْلِ الْاِقْتِدَا تَخَلَّقُ
ثُمَّ بِأَوْصَافِ الْهُدَى تَحَقَّقُ زَهَا بِبُلْبُسِ خِلْعَةِ الْكَمَالِ

لَمَّا اسْتَوَى لِلْحَقِّ بِاسْتِعْدَادِهِ وَانْحَلَّ بِالتَّجْرِيدِ مِنْ قِيَادِهِ

حَتَّىٰ فِينِي عَنْهُ وَعَنْ مُرَادِهِ أَهْلٌ لِلتَّقْرِيبِ وَالْإِيصَالِ

فَظَهَّرَتْ عَنْ حَالِهِ الصِّفَاتُ وَذَاقَ مَا تَرَوِي لَهُ الرُّوَاةُ
وَبَهَّرَتْ فِي بَالِهِ الْآيَاتُ وَشَاهَدَ التَّفْصِيلَ فِي الْإِجْمَالِ

حَتَّىٰ رَأَى حَقَائِقَ الْوُجُودِ وَسَرَّهَا بِالْكَشْفِ وَالشُّهُودِ
وَفِيضَهَا مِنْ عَيْنِ مَعْنَى الْجُودِ بِعِزَّةِ الْبَارِي ذِي الْجَلَالِ

فَذَاقَ مَعْنَى عَجْزِهِ فِي نَفْسِهِ وَأَنَّ عَزَّ رَبُّهُ فِي قُدْسِهِ
وَفَقَّرَهُ فِي عَقْلِهِ وَحِسَّهُ إِلَيْهِ كُلُّ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ

وَكُلُّ سِرٍّ قَدْ سَرَى فِي الْكَوْنِ عِنْدَ ظُهُورِ الْأَمْرِ وَالْبُطُونِ
نُورٌ تَجَلَّى الْحَقُّ فِي الشُّؤُونِ وَإِنَّ كُلَّ الْكَوْنِ كَالْخِيَالِ

فَحَقَّقَ التَّفْرِيقَ فِي التَّفْرِيدِ وَدَقَّقَ التَّحْقِيقَ فِي التَّوْحِيدِ
فِي حَضْرَةِ الْإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ فِي الذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ

وَصَارَ بِالْعِلْمِ لَهُ وَصُولٌ وَفِي فِنَا الْقُرْبِ لَهُ حُصُولٌ
وَحَبْلُهُ بِقُرْبِهِ مَوْصُولٌ بِأَكْرَمِ الْإِكْرَامِ وَالْوِصَالِ

لَا قَوْلَ ذِي الْإِحْتَادِ بِإِحْتَادٍ وَلَا حُلُولِ قَطُّ فِي اعْتِقَادٍ
فَجَلَّ أَهْلَ الْحَقِّ وَالرَّشَادِ عَنْ قَوْلِ أَهْلِ الزَّيْبِ وَالضَّلَالِ

فَجَلَّ وَجْهَ رَبَّنَا الْعَظِيمِ عَنْ كُلِّ مَنْسُوبٍ إِلَى عَدِيمِ
عَزَّ قُدُّوسٌ وَصِفِهِ الْقَدِيمِ عَنِ اتِّصَالِ فِيهِ وَانْفِصَالِ

إِذْ لَا يَنَالُ الْعَبْدُ كُنْهَ ذَاتِهِ أَوْ كُنْهَ مَا أَوْحَاهُ مِنْ صِفَاتِهِ
فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ سِوَى إِبْتَاتِهِ لِكُلِّ مَا أَثْبَتَ بِالْإِجْلَالِ

بَلْ عَجْزُهُ عَنْ دَرْكِهِ الْإِدْرَاكُ وَمَا لَهُ عَنْ عَجْزِهِ انْفِكَاكُ
وَمَا يَعْزُّ رَبَّهُ اشْتِرَاكُ لَمَّا كَسَاهُ قُدْرَةَ الْأَعْمَالِ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ طُهُورِ تَطْهِيرِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ ظُهُورِ عَابِرِهِمْ

لَكِنْ بِمَحْضِ الْفَضْلِ مِنْ مَوْلَاهُ أَوْلَاهُ بِالْإِفْضَالِ مَا أَوْلَاهُ
لِيَبْلُغَ الْمَقْصُودَ مَنْ وَالَاهُ وَيَرْتَقِيَ كُلَّ مَقَامٍ عَالِيٍّ

يَا عَجَبًا كَيْفَ نَأَى عَنْ ذِكْرِهِ حَتَّى سَهَا عَنْ حَقِّهِ وَشُكْرِهِ
وَلَمْ يُقَيِّدْ أَمْرَهُ بِأَمْرِهِ بَلْ مَالَ فِي الْجَهْلِ بِلاِ احْتِفَالِ

فَصَارَ فِي التَّفْرِيطِ وَالْإِفْرَاطِ وَضَاعَ فِي التَّخْلِيْطِ بِاخْتِلَاطِ
فَلَمْ يَزَلْ مِنْ بَعْدُ فِي انْحِطَاطِ مِنْ عُلُوِّهِ فِي أَسْفَلِ الْأَسْفَالِ

مِثَالُهُ فِي الْجَهْلِ وَالْأَوْهَامِ كَحَائِرٍ فِي الْبَحْرِ فِي الظَّلَامِ
فِي لُجَّةِ الْأَمْوَاجِ وَالْقِتَامِ لَا يَهْتَدِي فِي حَالِهِ (١) بِحَالِ

وَحَالُهُ فِي خَيْبَةِ الْمَابِ كَحَالِ مَنْ يَغْتَرُّ بِالسَّرَابِ

عِنْدَ الظَّمَا إِذْ خَابَ فِي الحِسَابِ وَاكتَالَ فِيمَا كَالَ مِنْ نَكَالِ

فَهَلْ لَهُ مِنْ وَاعِظٍ فِي قَلْبِهِ أَوْ نَاصِحٍ مِنْ عَقْلِهِ وَصَحْبِهِ
أَوْ زَاجِرٍ مِنْ مَوْتِهِ وَقُرْبِهِ فَمَا لَهُ بِالمَوْتِ لَا يُبَالِي

هَلْ اسْتَعَدَّ بِالتُّقَى فِي زَادِهِ وَخَافَ يَوْمَ الحَشْرِ فِي مَعَادِهِ
يَوْمَ يَحِيرُ المَرءُ فِي مُرَادِهِ وَلَا تُفِيدُ حِيلَهُ المُحْتَالِ

فَلَيْسَ يَنْجُو العَبْدُ مِنْ رَدَاهُ إِلَّا بِخَيْرٍ قَدَّمَتْ يَدَاهُ
فَفَازَ مَنْ دِينَ الهُدَى هُدَاهُ وَزَادَهُ مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ

فَلْيَغْتَنِمِ ذُو العَقْلِ بَاقِي عُمُرِهِ وَلْيَدَّخِرْ مِنْ يُسْرِهِ لِعُسْرِهِ
وَلْيَسْتَعِنْ بِرَبِّهِ فِي شُكْرِهِ وَمَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ أَوْ مَالِ

وَلْيَجْتَهِدْ بِجِدِّهِ وَصَبْرِهِ عَلَى الوَفَا بِنَهْيِهِ وَأَمْرِهِ
وَلْيَخْشَ سَبْقَ بَطْشِهِ وَزَجْرِهِ أَوْ مَكْرِهِ فِي المَدِّ وَالِإِمْهَالِ

فَكَيْفَ يَرْضَى ذُو نُهَى وَدِينِ بَعْدَ ظُهُورِ الحَقِّ وَاليَقِينِ
مَيْنَ أَمَانِي الظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ بَلْ يَطْلُبُ المَقْصُودَ بِاسْتِعْجَالِ

فَيَسْتَعِدُّ زَادَهُ لِلْمَوْتِ
مُحَاسِباً لِلنَّفْسِ فِي الْأَفْعَالِ

فَذُو النَّهْيِ يَخْشَى هُجُومَ الْفَوْتِ
وَيَضْبِطُ الْأَوْقَاتَ بِالْمَوْقُوتِ

وَاتَّبَعَ اللَّذَاتِ فِي هَوَاهَا
وَرَدَّ وَجْهَهُ الْحَقَّ بِالْخَيَالِ

وَالْأَحْمَقُ الْمَغْبُونُ مَنْ دَسَّاهَا
وَبِالْأَمَانِيِّ اغْتَرَّ مِنْ نَجْوَاهَا

وَسَامَهَا بِالصَّبْرِ فِي تَقْوَاهَا
فِي سَائِرِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَحْوَالِ

وَالْكَيْسُ الْمُفْلِحُ مَنْ زَكَّاهَا
حَتَّى ابْتَلَى مَا كَانَ مِنْ دَعْوَاهَا

وَقَدْ تُرَى لَوَّامَةً فِي السَّرِّ
بِهِ اطمَآنتُ بَعْدُ فِي امْتِثَالِ

فَإِنَّهَا أَمَّارَةٌ بِالشَّرِّ
إِنْ عُوِّدَتْ فِعْلَ التَّقَى وَالْبِرِّ

مَنْزَعُ كُلِّ الْإِثْمِ وَالطُّغْيَانِ
فِي الْكَيْدِ وَالتَّلْبِيسِ وَالْإِضْلَالِ

وَأَنَّهَا فِي خِلْقَةِ الْإِنْسَانِ
وَمَنْبَعُ الْوَسْوَاسِ لِلشَّيْطَانِ

يَمُدُّهَا بِغِيِّهِ اللَّعِينُ
وَشَرُّهُ فِي الْخَيْرِ بِاخْتِيَالِ

فَهُوَ لَهَا عِنْدَ الْهَوَى قَرِينُ
وَكَيْدُهُ لِلْمُهْتَدِي يَبِينُ

وَكَمْ سَبَى الْأَنْجَابَ بِالْأَصْحَابِ وَبِالنِّسَاءِ وَالْأَهْلِ وَالْأَطْفَالِ

وَمَا لِعَبْدٍ عَنْهُ مِنْ خَلَاصٍ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ وَالْإِحْلَاصِ
وَتَرَكِ كُلَّ الْإِثْمِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَخْذِ بِالذِّينِ بِكُلِّ حَالٍ

مُرَاقِباً فِي شَأْنِهِ لِرَبِّهِ مُرْتَقِباً لِفَضْلِهِ وَقُرْبِهِ
مُرَاعِياً لِعَيْنِ مَعْنَى قَلْبِهِ فِي كُلِّ تَقْلِيْبٍ وَفِي انْتِقَالِ

مُجْتَهِداً فِي حِفْظِ سِرِّ الْقَلْبِ فَإِنَّهُ إِنْ زَانَ بَيْتُ الرَّبِّ
وَحَيْثُ شَانَ فَهُوَ مَأْوَى الْكَلْبِ وَأَصْلُ مَنْشَأِ دَائِهِ الْعُضَالِ

يَرَعَى بِعَيْنِ الشَّرْعِ كُلَّ خَاطِرٍ بِنُورِ عِلْمٍ بَاطِنٍ وَظَاهِرٍ
فَمَا يُوْفِقِ الْحَقَّ فَلْيَبَادِرْ وَلْيَجْتَنِبْ فِي النَّهْيِ وَالْإِشْكَالِ

وَقَلْبُهُ إِنْ كَانَ ذَا اطْمِئْنَانٍ عَلَى الْهُدَى أَغْنَاهُ عَنِ بَيَانِ
فَإِنْ يَقِرَّ فَهُوَ عَنِ إِحْسَانٍ وَإِنْ يَفِرَّ فَهُوَ عَنِ ضَلَالِ

وَإِنْ يَكُنْ مُقَدَّساً نُورَانِي يَذُوقُ فَهَمَّ الْخَاطِرِ الرَّبَّانِي
وَالْمَلَكِي بِالنُّورِ وَالشَّيْطَانِي بِالْغِيِّ وَالنَّفْسِيِّ بِاشْتِغَالِ

وَلَيْسَ لِلشَّيْطَانِ مِنْ سُلْطَانٍ
إِذْ حَفِظُوا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ
عَلَى ذَوِي الإِحْسَانِ وَالِإِيمَانِ
وَاعْتَصَمُوا بِأَكْمَلِ اتِّكَالِ



رَشْفَةٌ مِنْ تَنْزُهُاتِهِمْ عَنِ الْعُيُوبِ
وَنَسْمَةٌ مِنْ نَشْرِ ثَنَائِهِمِ الْمَحْبُوبِ

فَوَيْلٌ عَبْدٍ ضَلَّ عَنْ نَجَاتِهِ وَضَاعَ فِي اللَّهْوِ حَوَى حَيَاتِهِ
وَظَنَّ بِالْجَهْلِ صَفَا صِفَاتِهِ وَهُوَ لَدَى الْحَقِّ بِأَسْوَا حَالِ

هَلَّا اقْتَفَى أَسْلَافَ صِدْقِ فُطْنَا قَدْ طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
وَرَكِبُوا مَتْنَ طَرِيقِ حَسَنَا فَسَلِمُوا مِنْ سَائِرِ الْأَهْوَالِ

هَلَّا اقْتَفَى بِهِدْيِ قَوْمِ صَدَقُوا وَبِأَصْطِبَارٍ فِي عَفَافٍ سَبَقُوا
وَعَرَفُوا لِأَيِّ مَعْنَى خُلِقُوا قَضَوْا بِهِ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي

فَإِنَّمَا أُوتِي هُدًى وَقُوَّةً يَمُدُّهَا كُلُّ غِذَاءٍ وَشَهْوَةٍ
لِيَرْتَقِيَ إِلَى ذُرَى الْفُتُوَّةِ وَيَتَّقِيَ بِأَفْضَلِ الْأَعْمَالِ

فَالشَّهْوَتَانِ سَبَبَاهُ فِي الْبَقَا عَوْنَاهُ بِالْعَدْلِ عَلَى كُلِّ تَقَى
لَكِنْ مَعَ التَّفْرِيطِ عَادَ بِالشَّقَا عَلَيْهِ بِالضَّرِّ بِلا إِمْهَالِ

وَكَيْفَ يَرْضَى عَاقِلٌ وَعَالِمٌ
عَنْ جِيزَةِ الرَّحْمَنِ وَالْمَكَارِمِ
بِعُمْرِهِ فِي عَيْشَةِ الْبَهَائِمِ
يَبِيعُ بِالذُّونِ الْأَعَزَّ الْغَالِي

حَسْبُ التَّقِيِّ مَا يُقِيمُ صُلْبَهُ
وَتُلْتُ لِنَفْسٍ مِنْ كُرْبَهُ
أَوْ ثُلَاثًا أَكَلَهُ وَشَرِبَهُ^(١)
فَالذَّاءُ مِلءُ الْبَطْنِ مِنْ حَلَالِ

إِذْ يَمَلَأُ الْقَلْبَ امْتِلَاهَا ظَلَمَهُ
فَكَيْفَ حَالٌ شُبْهَةٌ أَوْ حُرْمَهُ
وَيَعْتَلِي جُنْدُ الْهَوَى وَالنُّهْمَهُ
فَالسُّحْتُ فِي النَّارِ بِلا جِدَالِ

فَإِنَّ أَمْرَ الْجِسْمِ لِلْبَطْنِ تَبَعٌ
وَالنُّورُ فِي الْحِلِّ وَيَطْفِيهِ الشَّبَعُ
وَالدِّينُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَسِّ الْوَرَعِ
فَاطْلُبْهُ وَأَقِلْ مِنْهُ فَهُوَ الْغَالِي

وَقَلَدَ الْإِنْسَانَ سَيْفًا مِنْ غَضَبٍ
فَكَيْفَ بِالتِّيهِ وَبِالْبَغْيِ انْقَلَبُ
لِيَحْتَمِي دُنْيَا وَدِينًا مِنْ عَطَبٍ
عَلَيْهِ عَطْبًا دَائِمَ الْوَبَالِ

فَكَيْفَ مَنْ مِنْ عَدَمٍ إِلَى عَدَمٍ
يَتِيهِ عُجْبًا إِنْ كَسِيَ ثَوْبَ نِعَمٍ
وَكُلُّهُ عَجْزٌ وَفَقْرٌ وَنَدَمٌ
عَارِيَةٌ مِنْ فَضْلِ ذِي الْإِفْضَالِ

وَإِنْ يَكُنْ دُنْيَا فَبِالْبَغْيِ تُرَدُّ
وَرُبَّمَا يُسَلَّبُهَا فِي الْحَالِ

فَإِنْ يَكُنْ دِينًا فَبِالْعُجْبِ فَسَدُّ
شَرًّا عَلَيْهِ وَبِهَا يَشْقَى الْأَبَدُ

بَلْ رُبَّمَا عَادَى ذُبَابًا فَقَصَّرُ
وَمَالَهُ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ

وَكَيْفَ كِبْرُ مَنْ إِذَا اسْتَغْنَى افْتَقَرُ
وَكَيْفَ يَذْرِي حَالَهُ خَيْرًا وَشَرُّ

يَفْتِنُهُ فِي الدِّينِ جَاهٌ وَثَنَا
وَلَيْسَ يَذْرِي بَعْدُ مَا يُصَالِي

وَكَيْفَ حَالُ مَنْ عَلَى بَابِ الْفِنَا
وَالْجَهْلُ وَالْعَجْزُ بِهِ قَدْ عُجِنَا

إِلَى عَنَا كُلُّ اشْتِغَالٍ وَابْتِلَا
مِنْ حَاسِدٍ وَالْجَاهُ كَالْخِيَالِ

وَهَلْ لَهُ فِي كُلِّ جَاهٍ وَاعْتِلَا
بَلْ رُبَّمَا آذَاهُ بَغْضٌ وَقِلَا

مَنْ رَبِّهِ وَيَكْتَسِي ثُوبَ رَبِّهَا
يُحِبُّطُ مِنْهُ صَالِحِ الْأَعْمَالِ

بَلْ رُبَّمَا يَجْلَعُ فِي الْجَاهِ الْحَيَا
وَيَرْتَدِي رِدَاءَ شِرْكٍ خَفِيَا

لَيْسَ يُكَافِي فِي أَقْلٍ شَانِ
مُطَّلِعٍ عَلَى خَفَايَا الْبَالِ

كَيْفَ يُرَائِي الْعَبْدُ عَبْدًا فَانِي
بِدِينِ رَبِّ قَاهِرٍ دَيَّانِ

قَوْمٌ يَقْضِدِ الْجَاهِ وَالْأَمْوَالِ

فَكَمْ هَوَى فِي الضَّرِّ وَالضَّلَالِ

وَكَمْ فَقِيرٍ فِي الْحُمُولِ سَالِي قَدْ فَازَ بِالْعَيْشِ وَبِالْأَمَالِ

كَمْ أَهْلَكَآ عَبْدًا لِحَقْدٍ وَحَسَدٍ فِي نِعْمَةٍ مِنْ قِسْمَةِ الْحَقِّ الصَّمَدِ
فَأَفْسَدَ الْعَيْشَ وَأَمْسَى فِي كَمَدٍ دُنْيَا وَأُخْرَى دَائِمَ النَّكَالِ

وَإِنَّمَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا حَضْرٌ لَهُ بَلَاحٌ وَاعْتِبَارٌ لَوْ عَبَّرَ
وَكَيْفَ يَغْتَرُّ بِحُلُومٍ مِنْ نَظَرٍ قَدْ شِيبَ بِالضُّرِّ وَبِالْأَشْغَالِ

فَحَسْبُهُ مِمَّا يَرَاهُ الْقَوْتُ مَا أَكْثَرَ الْقَوْتَ لِمَنْ يَمُوتُ
فَالرِّزْقُ بِالْإِجْمَالِ لَا يَفُوتُ وَلَا يَزِيدُ الْقِسْمُ بِاسْتِعْجَالِ

وَوَيْحَ مَمْلُوكٍ لِحَرْصٍ وَطَمَعٍ لَمْ يَعْتَبِرْ بِمَا جَرَى فِيمَنْ جَمَعَ
كَمْ جَامِعٍ مَالًا عَظِيمًا مَا انْتَفَعَ بِهِ وَصَارَ لِلْعَدُوِّ الْقَالِي

وَكَيْفَ مَنْ لَمْ يَدْرِ مَا يَجْرِي بِغَدٍ وَلَا مَتَى الْمَوْتُ وَفِي أَيِّ بَلَدٍ
يَلْهُو بِمَالٍ أَوْ نِسَاءٍ أَوْ وَلَدٍ عَنْهُ وَمَا يَتْلُوهُ مِنْ أَهْوَالِ

رَشْفَةٌ مِنْ سُلَافَةٍ أَسْلَافِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ طِيبٍ أَعْرَافِهِمْ

وَلَيْسَ يَنْجُو الْعَبْدُ مِنْ كُلِّ رَدَى
فَسَوْفَ يُعْطَى كُلُّ فَوْزٍ وَهُدَى
إِلَّا إِذَا بِالْحَقِّ فِي الصِّدْقِ اهْتَدَى
بِالْفَضْلِ فِي الْحَالِ وَفِي الْمَالِ

لَكِنَّهُ لَيْسَ لَهُ ذَرِيعَةٌ
إِلَّا اتِّبَاعُ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ
إِلَى هُدَى أَوْ رُتْبَةٍ رَفِيعَةٍ
وَقَصْدُ وَجْهِ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ

فَلَيْسَتْ جِبُّ لَهِ ذُو الْإِنَابَةِ
إِلَى الْهُدَى بِفَتْحِهِ أَبْوَابَهُ
فَرَبُّهُ مَدَّ لَهُ أَسْبَابَهُ
لَهُ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ عَالِ

فَإِنَّ هَذَا الْعَالَمَ الْإِنْسَانِيَّ
بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَبِالْبَيَانِ
خُصَّ بِمَحْضِ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
بِالْوَحْيِ فِي الْإِنْبَاءِ وَالْإِرْسَالِ

وَلَمْ تَزَلْ مَعَارِجُ الْهُدَايَةِ
رِسَالَةٌ نُبُوَّةٌ وَوَلَايَةٌ
فِيهِ لَهُ بِالْحَقِّ وَالرَّعَايَةِ
تُنْجِيهِ مِنْ زَيْغٍ وَمِنْ ضَلَالِ

فَالْأَنْبِيَاءَ بِالْمَنْصِبِ الْمُئْتَبِرِ
نُحِصُوا بِوَحْيِ الْحَقِّ وَالتَّعْرِيفِ
جَاؤُوا بِكُلِّ مُرْشِدٍ شَرِيفِ
بِالْوَهْبِ لَا بِالْكَسْبِ وَالْأَعْمَالِ

تَنَزَّهُوا عَنِ سَائِرِ الْعُيُوبِ
وَعَصِمُوا عَنِ جُمْلَةِ الذُّنُوبِ
وَجَهْلِ عِلْمِ الدِّينِ لَا الْغُيُوبِ
فِي الْقَصْدِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ

وَقَدْ أَتَى مِنْهُمْ كِرَامُ الرُّسُلِ
وَكُلُّ شَرِّعٍ فَاصِلٍ وَفَضْلٍ
بِكُلِّ هَدْيٍ فَاصِلٍ وَفَضْلٍ
فَبَلَّغُوا مَا حُمِّلُوا مِنْ حَالِ

فَأَظْهَرُوا كُلَّ مُنِيرٍ شَارِقٍ
فَقَطَّعُوا كُلَّ مُعَادٍ مَارِقٍ
وَأَيَّدُوا بِبَاهِرِ الْخَوَارِقِ
وَكُلِّ ذِي جَحْدٍ وَذِي إِشْكَالِ

فَفِي الْوَرَى حَبْلُ الْهُدَى مَوْصُولُ
كُلِّ رَسُولٍ بَعْدَهُ رَسُولُ
بِحَقِّهِمْ وَالْحَقُّ لَا يَزُولُ
فَحُجَّةُ الْحَقِّ بِهِمْ تُلَالِي

كُلُّ رَسُولٍ قَامَ يَدْعُو أُمَّه
أَوْ لِيُظْهِرَ حُجَّةً فِي نِقْمَه
إِمَّا لِيُوصِلَ نِعْمَةً أَوْ رَحْمَه
بِالْفَضْلِ أَوْ بِالْعَدْلِ بِاعْتِدَالِ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ بَحْرِ أَعْظَمِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ عِطْرِ أَكْرَمِهِمْ

وَقَدْ أَتَانَا خَاتَمُ الرَّسَالَةِ بِكُلِّ مَا جَاؤُوا بِهِ مِنْ حَالِهِ
فَعَمَّ كُلَّ الْخَلْقِ بِالذَّلَالَةِ وَأَشْرَقَتْ مَنَاهِجُ الْكَمَالِ

فَكُلُّهُ فَضْلاً أَتَى وَرَحْمَهُ وَكُلُّهُ حُكْماً هُدَى وَحِكْمَهُ
وَهُوَ إِمَامٌ كُلِّ ذِي مُهِمَّةٍ وَقُدْوَةٌ فِي سَائِرِ الْخِصَالِ

فَهُوَ بِحَقِّ الشُّكْرِ مَا أَوْلَاهُ إِذْ قَامَ حَتَّى وَرِمَتْ رِجْلَاهُ
وَوَاصِلَ الصَّوْمِ وَقَدْ أَوْلَاهُ مُوَلَاهُ أَوْلَى الْفَضْلِ وَالْإِفْضَالِ

وَفِي السَّخَا كَأَنَّهُ الْبَحْرُ زَخْرُ يُعْطِي مَيْئِناً وَالْوُفَاءَ مَنْ حَضَرَ
وَمَا اصْطَفَى لِنَفْسِهِ وَمَا ادَّخَرَ إِلَّا يَسِيراً وَهُوَ ذُو الْعِيَالِ

وَلَيْسَ حُبُّ الطَّيِّبِ وَالنِّكَاحِ إِلَّا لَجْمَعِ الْقَلْبِ وَالْأَرْوَاحِ

وَأَسْوَةٌ عَوْنًا عَلَى الْإِصْلَاحِ^(١) يَزُونَنَ عَنْهُ أَكْرَمَ الْأَخْوَالِ

وَأَسْوَةٌ الْمَكْرُوبِ فِي اضْطِبَارِ فِي كُلِّ مَا قَاسَى مِنَ الْكُفَّارِ
حَتَّى رُمِيَ بِالْفَرْثِ وَالْأَحْجَارِ وَمَا دَعَا إِلَّا عَلَى رِجَالِ

وَسَلْوَةٌ لِمُعْسِرِ مَسْكِينِ إِذْ صَحَّ لَمْ يَشْبَعْ وَلَا يَوْمَيْنِ
وَقَدْ أَبِي جِبَاهَهَا مِنْ عَيْنِ زُهْدًا وَمِنْ جُوعِ طَوَى لِيَالِي

وَلَمْ يَزَلْ فِي الْحَقِّ فِي اجْتِهَادِ وَبَعْدَ فَرَضِ الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ
مَا قَرَّ فِي ظِلٍّ وَلَا بِلَادِ إِلَّا عَلَى الْكُفَّارِ فِي قِتَالِ

وَمَا مَضَى حَتَّى أَقَامَ الدِّينَا وَصَارَ سَهْلًا وَاضِحًا مُبِينَا
فَلَمْ تَخَفْ أُمَّتُهُ فُتُونَا بَلْ عَصِمُوا فِي الْجَمْعِ عَنْ ضَلَالِ

وَصَحْبُهُ فِيهِمْ هُمْ نُجُومُ بِهِمْ عَلَيْهِمْ فَاضَتْ الْعُلُومُ
كُلُّ لَهُ مُقَدَّرٌ مَقْسُومُ مِنْ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ أَوْ حَالِ

وَالْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ وَالْعِثْرَةُ
مِلَّتُهُ مَحْفُوظَةٌ مِنْ فَتْرِهِ
بِهِمْ مَعَ الْقُرْآنِ مُسْتَمِرَّةٌ
عَلَى الْهُدَى دَابَّابِلًا انْفِصَالِ



رَشْفَةٌ مِنْ مَنَبَعِ عُلُومِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ مَطَلَعِ فَهُومِهِمْ^(١)

فَإِنَّ كُلَّ الْعِلْمِ فِي الْقُرْآنِ الدَّائِمِ الْغَضِّ مَدَى الْأَزْمَانِ
وَسُنَّةُ الْمُخْتَارِ فِي الْبَيَانِ لَهُ لَدَى الْإِذْمَاجِ وَالْإِجْمَالِ

فَهُوَ كَوَحْيٍ دَامَ بِالْغُيُوبِ وَالْعَلَمَا فِي الْوَعْيِ فِي الْقُلُوبِ
كَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ بَنِي يَعْقُوبِ وَمَنْ دَعَا مِنْهُمْ كَذِي إِرْسَالِ

وَلَمْ يَزَلْ وَدِينُهُ جَدِيدُ فِي كُلِّ قَرْنٍ قَائِمٌ يُعِيدُ
تَجْدِيدَهُ وَعِلْمَهُ يُفِيدُ يَدْفَعُ عَنْهُ ذَا الْجَفَا وَالْغَالِي

وَرَحْمَةٌ بِسِتْرِ حَالِ الْأُمَّةِ عَنِ افْتِضَاحِ ذِي هَوَى وَظُلْمَةِ
أَوْ اتِّضَاحِ رَيْبَةٍ أَوْ وَضْمَةٍ تَظْهَرُ عِنْدَ الْوَحْيِ بِأَنْبِذَالِ

إِذْ رُبَّمَا يَكْفُرُ فِي عِصْيَانِ لِمُرْسَلٍ لَا عَالِمٍ رَبَّانِي

(١) وفي نسخة: «فتوحهم»، عن هامش النسخة ب.

وَإِنَّمَا بِالْفِسْقِ وَالطُّغْيَانِ يُرْمَى وَقَدْ يُسْتَرُّ فِي أحوَالِ

بَلْ فِي عُمُومِ الظَّنِّ فِي الْمَسْمُوعِ وَفِي اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي الْفُرُوعِ
صَوْنٌ عَنِ الطُّغْيَانِ بِالْمَقْطُوعِ وَالْخَرْقِ لِلْإِجْمَاعِ بِالضَّلَالِ

وَرَحْمَةٌ بِعَاجِزِ ضَعِيفِ قَلْدَ قَوْلِ عَالِمٍ عَفِيفِ
وَفِتْنَةٌ لَدِي هَوَى سَخِيفِ يَقْفُو هَوَى النَّفْسِ وَلَا يُيَالِي

وَلَا يَضُرُّ الطُّغْنَ فِي شَرَعِيَّةِ بِالظَّنِّ فِي مَسْأَلَةِ فَرَعِيَّةِ
لِأَنَّهَا أَصُولُهَا قَطْعِيَّةِ مَحْفُوظَةٌ بِأَكْمَلِ اسْتِدْلَالِ

بَلْ فِيهِ فِي فَهْمِ لَدِي اجْتِهَادِ أَجْرَانِ أَوْ أَجْرٍ لِكُلِّ هَادِي
وَفَضْلِ ذِي جِدِّ أَوْ ازْدِيَادِ وَذِي^(١) اِخْتِيَاطِ عِنْدَ ذِي إِشْكَالِ

فَالْعُلَمَاءُ خُصُّوا بِحُسْنِ الْفَهْمِ وَوَعِي كُلِّ حِكْمَةٍ وَحُكْمِ
وَمَا لَهُ فِي فَضْلِهِ مِنْ قِسْمِ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ فِي الْأَعْمَالِ

وَهُوَ مِنَ الرُّسُلِ بِحُكْمِ الْإِرْثِ لِلْعُلَمَاءِ أُولِي هُدَى وَحَرْثِ
وَالسَّعْيِ فِي تَحْصِيلِهِ بِالْبَحْثِ مِنْ أَفْضَلِ التَّقْوَى لِدِي الْجَلَالِ

وَبَعْضُهُمْ بِالْفَضْلِ فِي الْأَحْكَامِ
وَالْجَمْعِ لِلخَلْقِ عَلَى نِظَامِ
كَحَالَتِي دَاوُدَ فِي الْأَنَامِ
وَالطَّيْرِ وَالْأَوْحَاشِ وَالْجِبَالِ

وَبَعْضُهُمْ فِي مُلْكِهِ الْقَوِيمِ
أَظْهَرَ مَعْنَى حِكْمَةِ الْحَكِيمِ
حُكْمُ سُلَيْمَانَ عَلَى عَظِيمِ
جُنُودِهِ بِأَمْثَلِ امْتِثَالِ

وَبَعْضُهُمْ دَعَا بِكَشْفِ الْغَمِّ
لَمَّا عَصَتْهُ إِذْ هَدَاهَا أُمَّهُ
صَارَ عَلَيْهَا حُجَّةً فِي النَّقْمَةِ
كَحَالِ نُوحٍ مَعَ ذَوِي الضَّلَالِ

وَبَعْضُهُمْ أَظْهَرَ أَسْنَى صَبْرٍ
وَعِفَّةٍ فِي مِخْنَةٍ وَضُرِّ
رَاضٍ بِقَهْرٍ مُرْتَضٍ فِي الْأَمْرِ
كَالْحَالِ فِي أَيُّوبَ فِي اعْتِدَالِ

وَبَعْضُهُمْ أَقِيمٌ فِي تَصْرِيْفِ
فَهُوَ عَلَى التَّعْرِيفِ وَالتَّأْلِيفِ
فِي بَاطِنِ الْأَحْوَالِ بِالتَّوْقِيفِ
كَالْحَضِرِ الْبَاقِي بِلَا إِبْدَالِ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ مَوْرِدٍ مَذَاهِبِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ وَارِدٍ مَوَاهِبِهِمْ

وَاخْتَلَفُوا فِي الْفَتْحِ وَالْمَوَاهِبِ
بِسِرِّ حَقِّ بَاطِنِيٍّ غَالِبِ
وَفِي حُصُولِ الْقُرْبِ وَالْمَطَالِبِ^(١)
أَوْ ظَاهِرٍ بِأَفْضَلِ الْإِفْضَالِ

فَمِنْهُمْ الْقَوْمُ ذَوُو الدَّوَائِرِ
بِهِمْ يَسِيرُ السَّرُّ فِي السَّرَائِرِ
يُبْصِرُهُمْ فِيهَا ذَوُو البَصَائِرِ
وَيَحْصُلُ التَّحْوِيلُ فِي الْأَحْوَالِ

كَالْغَوْثِ وَالْقُطْبَيْنِ وَالْأَوْتَادِ
وَالنُّجَبَا وَالْأَمْنَا الْأَفْرَادِ
وَسَبْعَةٌ يُدْعَوْنَ بِالْعِمَادِ
وَالنُّقَبَا وَالذُّخْرِ وَالْأَبْدَالِ

فَكُلُّهُمْ تَمُدُّهُمْ رَقَائِقُ
يَظْهَرُ فِيهَا الْأَمْرُ فِي الْخَلَائِقِ
بِمَا أَرَادَ الْحَقُّ فِي الْحَقَائِقِ
بِالْعَدْلِ أَوْ بِالْفَضْلِ وَالنَّوَالِ

وَكُلُّهُمْ فِي رُتْبَةٍ قُرْبِيَّةِ
مَعْقُودَةٍ بِنِسْبَةِ رَبِّيَّةِ

مَشْهُودَةٌ فِي سُنَّةِ قَلْبِيهِ فِي سَائِرِ الْأَفْعَالِ بِإِنْفَعَالِ

وَبَعْضُهُمْ بِنَفْحَةِ حُبِّيهِ سَرَى إِلَى أَعْلَى الذُّرَى الْقُرْبِيَّةِ
عَلَى بُرَاقِ بَرْقَةِ جَدِّيهِ فَأَصْبَحَتْ مِنْ تَحْتِهِ الْمَعَالِي

أَضْحَى عَرُوسًا فِي رِيَاضِ الْأُنْسِ لَمْ يَدِرْ مَا طَعْمُ جِهَادِ النَّفْسِ
يَرَوِي أَحَادِيثَ الْجَنَابِ الْقُدْسِيِّ وَلَا عَنَاءَ السَّيْرِ وَالتَّرْحَالِ

لَمْ يُمْتَحَنُ بِالْفَتْحِ فِي انْتِظَارِ كَقَصْدِ مُوسَى جَذْوَةً مِنْ نَارِ
وَلَا بِأُورَادِ وَلَا أَذْكَارِ إِذْ عَادَ بِالْإِنْبَاءِ وَالْإِرْسَالِ

فَهُوَ مُرَادُ الْحَقِّ وَالْمُرِيدُ مَنْ لَمْ يَزَلْ وَجَدُهُ جَدِيدُ
وَقُرْبُهُ مِنْ رَبِّهِ يَزِيدُ وَقَلْبُهُ فِي قِبْلَةِ الْإِقْبَالِ

يَقْطَعُ كُلَّ عَائِقٍ شَدِيدِ بِالصَّبْرِ وَالْعَزْمِ عَلَى التَّجْرِيدِ
فَجَازَ كُلَّ عَقْبَةٍ كَوُودِ وَجَازَ كُلَّ رَافِعٍ وَعَالِي

صَفَا وَصَفَى الْقَلْبَ فِي عِلَاجِهِ حَتَّى اسْتَوَى بِالصَّدْقِ فِي احْتِيَاجِهِ
بِكُلِّ مَا يَشْفِي مِنْ اعْوِجَاجِهِ عَلَى الْغِنَى بِالْحَقِّ ذِي الْجَلَالِ

وَأُورِدَ النَّفْسَ مِنَ الرِّيَاضَةِ مِنْ كُلِّ مَا تَكَرَّهُهُ حِيَاضُهُ
فَأَضْبَحَتْ عَلَى الرِّضَا مُرْتَاضَةً مَرْضِيَّةً فِي أَشْرَفِ (١) الْخِصَالِ

مَنْ بَعْدَ عَقْدِ أَحْسَنِ اعْتِقَادِ وَعِلْمِ مَا يَحْتَاجُ وَازْدِيَادِ
وَعِلْمِ طِبِّ الْقَلْبِ وَاجْتِهَادِ يَطْوِي الْمَقَامَاتِ لِكُلِّ (٢) حَالِ

فَهَذِهِ طَرِيقَةُ التَّقْدِيسِ قَوِيمَةُ التَّفْرِيعِ وَالتَّاسِيسِ
بَرِيَّةٌ مِنْ سَائِرِ التَّلْبِيسِ شَرَحَهَا إِمَامُنَا الْغَزَالِيُّ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ غَيْثِ مَنَاهِلِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ قُرْبِ مَنَازِلِهِمْ

وَبَعْضُهُمْ سَارُوا بِأَوْلَى سِرٍّ (١)
وَإِخْتَصَرُوا طُولَ فُرُوعِ الْأَمْرِ
فَاقْتَصَرُوا عِنْدَ قُصُورِ الْعُمْرِ
وَلَا حَظُّوا وُجْهَةَ وَجْهِ الْبَالِ

وَخَرَجُوا مِنْ جُمْلَةِ التَّدْبِيرِ
وَأَسَّسُوا فِي الْحَقِّ كُلِّ سَيْرِ
إِلَى انْتِظَارِ الْفَيْضِ وَالتَّقْدِيرِ
عَلَى الْهُدَى بِأَصْدَقِ اتِّكَالِ

تَوَجَّهُوا حَقًّا لِوَجْهِ الرَّبِّ
وَهَمُّهُمْ فِي جَمْعِ هَمِّ الْقَلْبِ
وَقَصْدُهُمْ نَيْلَ الرِّضَا وَالقُرْبِ
فِي خِلْطَةِ كَانُوا أَوْ اعْتِزَالِ

فَرَاقَبُوا فِي الْقُرْبِ وَالْمَعِيَّةِ
وَالتَّزَمُوا فِي السَّيْرَةِ الشَّرْعِيَّةِ
وَأَخْلَصُوا فِي الذِّكْرِ بِالْجَمْعِيَّةِ
خُلَاصَةَ الْأَدَابِ وَالْأَعْمَالِ

وَهَذِهِ طَرِيقَةُ التَّقْرِيبِ
لِقُرْبِ غَوْثِ الْعَبْدِ مِنْ قَرِيبِ

بِنَفْحَةٍ أَوْ صُخْبَةٍ أَوْ غَيْبٍ لِلشَّاذِلِي وَمَنْ لَهُ يُوَالِي

وَبَعْضُهُمْ مَلَامَتِي السَّيْرَةَ أَخْفَى جَمِيعَ الْأَمْرِ فِي السَّرِيرَةَ
مُسْتَتِرًا فِي حَالِهِ مُنِيرَهُ مِنْ خَلْوَةٍ أَوْ خِدْمَةٍ أَوْ حَالِ

وَبَعْضُهُمْ قَدْ جَرَدَ اجْتِهَادَهُ لِرَبِّهِ فِي الصَّوْمِ وَالْعِبَادَةِ
مُلَازِمًا فِي عُمَرِهِ أَوْ رَادَهُ مُوزَّعًا لِلْوَقْتِ فِي اسْتِعْجَالِ

وَبَعْضُهُمْ فِي الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَالجَمْعِ فِي التَّأْلِيفِ وَالتَّفْهِيمِ
مُجْتَهِدًا فِي دِينِهِ الْقَوِيمِ يَحُلُّ مَا قَدْ حَلَّ مِنْ إِشْكَالِ

وَبَعْضُهُمْ قَامَ مَقَامًا بَاهِرًا وَأَظْهَرَ الْأَحْكَامَ فِي الظُّوَاهِرِ
بِالشَّرْعِ فِيهَا أَمْرًا وَقَاهِرًا حَتَّى اسْتَوَى^(١) مَنَاهِجَ الْأَعْمَالِ

وَبَعْضُهُمْ فِي حِفْظِ أَمْرِ الدِّينِ عَنْ كَيْدِ ذِي جَحْدٍ وَعَنْ ذِي مَيْنِ
بُنُورِ بَرْهَانِ هُدَى مُبِينِ عَنِ الْمِرَا يُغْنِيهِ وَالْجِدَالِ

وَبَعْضُهُمْ أَقِيمَ فِي أَسْبَابِ فَصَانَهَا بِأَحْسَنِ الْأَدَابِ

وَأَنْتَظِرِ الْإِفْضَالَ مِنْ وَهَابٍ أَقَامَهُ فِي الْكَسْبِ وَالْعِيَالِ

فَأَفْضَلَ الْعَبْدِيَّةِ الْإِقَامَةَ بِمَالِهِ مَوْلَاهُ قَدْ أَقَامَهُ
عَلَى هُدَى بِأَحْسَنِ اسْتِقَامَةٍ بِكُلِّ مَا يُرْضِي مِنْ امْتِثَالِ

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْحَقِّ أَعْطَى لِكُلِّ مَالِهِ مِنْ خَلْقِ
ثُمَّ هَدَى ثُمَّ دَعَا بِالرَّفْقِ كُلًّا بِمَا يُضْلِحُهُ مِنْ حَالِ

فَبَعْضُهُمْ كَمَالُهُ فِي صَبْرِهِ وَبَعْضُهُمْ يَنَالُهُ مِنْ شُكْرِهِ
وَبَعْضُهُمْ عَطَاؤُهُ فِي فَقْرِهِ وَبَعْضُهُمْ صِلَاؤُهُ بِالْمَالِ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ تَسْنِيمِ مَشَارِبِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ نَسِيمِ مَآرِبِهِمْ

وَاخْتَلَفُوا فِي صِفَةِ الْقُرْبِيَّةِ وَفِي اتِّصَالِ الْقُوَّةِ الْكَنْسِيَّةِ
أَوْ انْعِطَافِ نَفْحَةِ جَذْبِيَّةِ تَرْفَعُ عَنْهُ كُفْلَةَ الْأَثْقَالِ

فَبَعْضُهُمْ مَا زَالَ فِي تَقْيِيدِ فِي جِدِّهِ وَزُهْدِهِ الشَّدِيدِ
مُرَاقِبًا زَوَاجِرَ الْوَعِيدِ مُرْتَقِبًا لِلْمَوْتِ وَالْمَالِ

وَبَعْضُهُمْ فِي الْبَسْطِ فِي الْوُجُودِ فِي بَسْطَةِ مِنْ نِعْمَةٍ وَجُودِ
شَاهِدًا فَضْلَ الرَّبِّ فِي الْوُعُودِ فَعَمَّهُ مَوْلَاهُ بِالْإِفْضَالِ^(١)

وَبَعْضُهُمْ فِي كُفْلَةِ التَّكْلِيفِ بَيْنَ تَرْجِيِ الْفَضْلِ وَالتَّخْوِيفِ
قَضَى بِذَلِكَ الْعَمْرِ فِي شَرِيفِ مِنْ صَبْرِهِ فَفَازَ بِالْأَمَالِ

وَبَعْضُهُمْ إِذْ جَدَّ فِي اجْتِهَادِهِ أَعَانَهُ الْحَقُّ عَلَى مُرَادِهِ

بِجَذْبَةٍ فَانْحَلَّ عَنْ قِيَادِهِ وَنَالَ أَسْنَى الْفَتْحِ وَالْأَمَالِ

وَبَعْضُهُمْ فِي لَاعِجِ الْأَشْوَاقِ بَرَهْبَةٍ فِي غَايَةِ الْإِسْفَاقِ
أَوْ رَغْبَةٍ فِي حَالَةِ الْإِمْلَاقِ أَوْ نِسْبَةٍ فِي مُخْلِصِ الْأَعْمَالِ

وَبَعْضُهُمْ غَرِيْبُ بَحْرِ الْجُودِ شَهِيدُ سَيْفِ الْكَشْفِ وَالشُّهُودِ
قَدْ صَارَتْ تَحْتَ الْعِزِّ كَالْمَفْقُودِ وَلَيْسَ عَنْهُ مُخْبِرٌ بِقَالَ^(١)

وَبَعْضُهُمْ غَابَ عَنِ الْخَلِيقَةِ وَذَابَ لَمَّا شَاهَدَ الْحَقِيقَةَ
إِذْ عَلَّ مِنْ رَاحِ الْهَوَى رَحِيقَةَ رَاحَ بِهَا فِي طَلْعَةِ الْجَمَالِ

وَكُلُّهُمْ لَمْ يَنْتَهُوا لِلْعِصْمَةِ بَلْ حَفِظُوا بِحَفِظِهِمْ لِلْحُرْمَةِ
وَأَكْرَمُوا بِنَسْبَةٍ وَخِدْمَةِ فَهُمْ رِجَالُ الْحَقِّ فِي الرَّجَالِ

لَيْسَ لَهُمْ وَحْيٌ وَلَا أَحْكَامُ إِلَّا عُلُومُ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ
نَعَمَ لَهُمْ مِنْ لُطْفِهِ إِلْهَامُ يَجِلُّ مَا قَدْ حَلَّ مِنْ أَمْوَالِ

وَرُبَّمَا طَافَتْ بِهِمْ لَطَائِفُ مِنْ عِلْمِ كَشْفِ الْحَقِّ وَالْمَعَارِفِ

وَذُوقِ مَعْنَى قَائِلٍ وَوَاصِفٍ فِي الْفَهْمِ فِي الْقُرْآنِ وَالْإِنْزَالِ^(١)

وَرُبَّمَا بِنَظَرَةٍ قُدْسِيَّةٍ أَوْ مِنْ سَنَا فِرَاسَةٍ حَسِّيَّةٍ
رَأَوْا خَفَايَا حَالَةِ نَفْسِيَّةٍ تَصِيرُ فِي الْقَلْبِ بِلَا اسْتِعْمَالِ

وَقَدْ بَدَتْ مِنْ بَعْضِهِمْ خَوَارِقُ عَوْنَا لِكُلِّ مُسْتَجِيبٍ صَادِقِ
وَحُجَّةً^(٢) عَلَى مُعَادٍ مَارِقُ تَكُونُ عِنْدَ الْهَمِّ بِإِنْفِعَالِ

بَلْ كُلُّ مَا يَجُوزُ مِنْ نَبِيِّ مُعْجِزَةً يَجُوزُ مِنْ وَلِيِّ^(٣)
كَرَامَةٍ بِوَفْقِهِ الْمَرْعِيِّ وَحُجَّةً لِلرُّسُلِ وَالْإِرْسَالِ

وَجُلُّهُمْ يَكْرَهُ فِعْلَ الْخَرَقِ لِأَنَّ فِيهِ هَتْكَ سِثْرِ الْحَقِّ
لِأَنَّ بِالْأَسْبَابِ جَرِي الْخَلْقِ وَحِكْمَةُ الْعَادَاتِ نَظْمُ الْحَالِ

كَذَاكَ مَا لَا تُفْهِمُ الْإِشَارَةُ وَلَمْ تَسْعُهُ رِبْقَةُ الْعِبَارَةِ
فَإِنَّهُ جَلَّ خَفَى أَسْرَارُهُ بِشُرْعِهِ صَوْنًا عَنِ انْبِدَالِ

وَرُبَّمَا الشَّرْعُ أَبَاحَ دَمَّهُ
وَحُسْنُ ظَنِّ خَيْرٌ مَا نَوَالِي

وَمَنْ بِهَا بَاحَ اسْتَبَاحَ دَمَّهُ
وَحَسْبُهُ اللَّهُ لَهَا وَعِلْمُهُ

فِي الشَّرْعِ عَمَّنْ تَرْتَضِي خِصَالَهُ
وَصِيْنَ وَجْهَهُ الْحَقُّ ^(١) عَنِ إِشْكَالِ

وَكُلَّمَا تُنْقَلُ مِنْ مَقَالَهُ
رُدَّتْ بِحُسْنِ الظَّنِّ وَالْإِقَالَهُ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ صَافِي تَصَوُّفِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ عَرَفِ تَعَرُّفِهِمْ

وَسَابِقُ التَّخْصِصِ وَالْعِنَايَةِ خَصَّتْ ذَوِي الإِخْلَاصِ بِالرَّعَايَةِ
وَأَوْجَبَتْ عَقْدَ لِيَا الْوِلَايَةِ لِمَنْ حَظِي بِأَشْرَفِ الإِخْصَالِ

فَكُلُّ مَنْ هَبَّ إِلَى الشَّرِيعَةِ وَاتَّخَذَ الصَّدَقَ بِهَا ذَرِيعَةَ
لَيْلِ أَيِّ رُتْبَةٍ رَفِيعَةٍ نَالَ بِهَا كُلَّ مَقَامٍ عَالِي

فَمَنْ وَفَى عَهْدًا وَجِدًّا أَوْفَى وَمَنْ صَفَى قَلْبًا وَحُبًّا صُوفِي
وَصَارَ لِلْحَقِّ صَفِيًّا صُوفِي وَفَقَرَهُ يُغْنِيهِ عَن سُؤَالِ

فَإِنَّمَا طَرِيقَةُ الصُّوفِيَّةِ لُزُومُ كُلِّ هِمَّةٍ وَفِيَّةِ
وَصِفَةٌ مِنَ الْهُدَى صَفِيَّةِ إِلَى بُلُوغِ الْقَصْدِ وَالْكَمَالِ

فَكُلُّهَا بِسُنَّةِ سَنِيَّةِ عَلَى اتِّبَاعِ الْمُصْطَفَى مَبْنِيَّةِ
وَالْأَخْذُ فِي كُلِّ اهْتِدَا وَنِيَّةِ بِالْعَزْمِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الْأَعْمَالِ

فَهِيَ كَمَا الصُّدُقِ بِالتَّضْدِيقِ وَالْجِدُّ بِالْحَقِّ عَلَى التَّحْقِيقِ
فِي الْجَمْعِ وَالْفَرْقِ بِلا تَفْرِيقِ
لِلَّهِمْ بَلْ جَمْعُ الْهُوَى وَالْبَالِ

وَبِاخْتِلَافِ الذُّوقِ وَالْمَوَاهِبِ
نَحْسَبُهَا بَيْنَ الْوَرَى مَذَاهِبِ
بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ وَالْمَرَاتِبِ
مَعَ اتِّحَادِ الْقَصْدِ وَالْمَالِ

فَإِنَّهَا تَحْقِيقُ حَقِّ الْعِلْمِ وَلَا خِلَافَ لِاخْتِلَافِ الرَّسْمِ
وَالْجِدُّ فِي الْحَقِّ بِأَوْلَى عَزْمِ
فِي وَصْفِ حَالٍ وَاخْتِلَافِ قَالِ
الرَّسْمِ

وَكُلُّهُمْ فَرُّوا مِنَ التَّقْيِيدِ
فَطَلَبُوا التَّحْقِيقَ بِالْمَزِيدِ
وَمِنْ بَقَا فِي رَبَقَةِ التَّقْلِيدِ
مِنْ الْهُدَى فِي صَالِحِ الْإِقْبَالِ

وَمَا ارْتَضَوْا فِي عِدَّةِ الْإِسْلَامِ
بَلْ قَلَّدُوا الْحَقَّ بِلا إِيْهِامِ
أَحْوَالِ أَهْلِ الْبَحْثِ وَالْكَلَامِ
فِي كُلِّ مَا صَحَّ مِنَ الْإِنْزَالِ

فَرُّوا مِنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ
وَذُو اشْتِبَاهٍ لَمْ يَحْوَضُوا فِيهِ
وَقَرَّرُوا الْإِثْبَاتَ بِالتَّنْزِيهِ
بَلْ فَوَّضُوا فِيهِ لِذِي الْجَلَالِ

فَطَابَقُوا لِلْحَقِّ فِي اعْتِمَادِهِ
وَفَوَّضُوا الْمَعْنَى إِلَى مُرَادِهِ
وَصَدَّقُوا النُّقُولَ بِاعْتِمَادِهِ
فِي وَاضِحِ الْحَالِ وَفِي الْإِشْكَالِ

رَشْفَةٌ مِنْ مَنْهَلِ أَصْوَاهِمُ
وَنَسْمَةٌ مِنْ مَنْدَلِ وُصُوهِمُ

وَأَجْمَعُوا أَنْ لَيْسَ مِنْ وُصُولِ
وَكُنْسِ سِرِّ السِّرِّ عَنْ فُضُولِ
إِلَّا بِحِفْظِ الشَّرْعِ وَالْأُصُولِ
لِيَسْتَعِدَّ الْقَلْبُ لِلْإِفْضَالِ

وَالشَّرْطُ تَطْهِيرُ صِفَاتِ النَّفْسِ
لِيُنْجَلِيَ فِي كُلِّ وَصْفٍ قُدْسِي
عَنْ كُلِّ طَبَعٍ نَاقِصٍ وَرِجْسِ
وَيَعْتَلِي فِي طَلْعَةِ الْكَمَالِ

وَأِنَّهُ لَا بَابَ لِلسَّعَادَةِ
مَعَ الْعُبُودِيَّةِ وَالزَّهَادَةِ
إِلَّا اتِّبَاعُ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ
وَالجِدِّ فِي الْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ

كَأَنَّ يَدَيْمَ الذِّكْرَ بِالْحُضُورِ
بِحَيْثُ يُغْنِي الْعَبْدَ^(١) عَنْ شُعُورِ
بِغَفْلَةٍ عَمَّا سِوَى الْمَذْكُورِ
بِنَفْسِهِ أَوْ ذِكْرِهِ أَوْ حَالِ

وَقَلَّ نَيْلُ هَذِهِ الْمَعَانِي
إِلَّا إِذَا مُدَّتْ قُوَى الْمُعَانِي

بِنُورِ سِرِّ جَاذِبِ رَبَّانِي يَرْقَى بِهِ الْعَبْدُ لِكُلِّ عَالِي

وَنَيْلِهِ مِنْ صُحْبَةِ الْأَخْيَارِ أَوْ فِي لُزُومِ الذِّكْرِ بِاسْتِهْتَارِ
أَوْ بِارْتِقَابِ الْحَقِّ بِالْأَسْرَارِ فِي سَائِرِ الْحَالَاتِ وَالْأَفْعَالِ

فَاطْلُبْ لِقَا الشَّيْخِ بِكُلِّ حِيلَةٍ فَهُوَ الْمُرَادُ بِابْتِغَا الْوَسِيلَةِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْخٌ هُدَى دَلِيلَةٍ فَشَيْخُهُ الشَّيْطَانُ فِي الْحِيَالِ

وَهُوَ إِمَامٌ كَامِلُ الطَّرِيقَةِ يَعْلَمُ سِرَّ الشَّرْعِ وَالْحَقِيقَةِ
يَعْرِفُ طَبَعَ النَّاسِ وَالْخَلِيقَةِ وَمَا لِكُلِّ طَالِبٍ مِنْ بَالِ

عَنْ إِذْنِ شَيْخٍ كَامِلٍ مَأْمُورٍ لَمْ يُلْهِهِ عَنْ شُغْلِهِ الْحُضُورُ
وَعَكْسُهُ ذُو هَيْبَةٍ وَقُورٍ يَظْهَرُ عَنْهُ أَشْرَفُ الْخِلَالِ^(١)

قَدْ ذَاقَ جِدَّ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى أَتَتْهُ جَذْبَةُ التَّوْفِيقِ
تُبِينُ بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّعْوِيقِ لَهُ مَبَانِي الْقَطْعِ وَالْإِيصَالِ

إِلَى طَرِيقِ الْفَيْضِ وَالْمَزِيدِ يُرْشِدُ كُلَّ صَادِقٍ مُرِيدِ

بِضَبْطِهِ الْأَنْفَاسَ وَالتَّقْيِيدِ لَهُ بِأَوْلَى السَّيْرِ وَالتَّرْحَالِ

يُحْمِيهِ عَنِ إِثْمٍ وَعَنْ مُلَمَّةٍ
يُلْبِسُهُ ثَوْبَ تَقَى وَعِصْمَةٍ
وَمَنْقَصٍ وَرُبَّمَا بِالْهَمَّةِ
فَيْرْتَدِي بِأَشْرَفِ الْخِصَالِ

وَيُظْهِرُ الْمُرِيدُ كُلَّ خَاطِرٍ
لَأَمْرِهِ مُعْظَمًا وَنَاظِرٍ
مُسَلَّمًا لِحُكْمِهِ مُبَادِرٍ
إِلَيْهِ بِالْفَضْلِ وَبِالْإِجْلَالِ

يَشْهَدُ أَنَّ الْحَقَّ مَا يَقْضِيهِ
بِكُلِّ حَالٍ فَهُوَ مَعَهُ فِيهِ
بِحَيْثُ يَرْضَى اللَّهُ مَا يُرْضِيهِ
كَحَالَةِ الْمَيْتِ مَعَ الْغَسَالِ

فَمَنْ إِلَى الشَّيْخِ هَدَاهُ رَبُّهُ
إِنْ اِحْتَوَى عَلَى وِلَاةٍ قُرْبَهُ
فَقَدْ بَدَأَ كَمَالَهُ وَقُرْبَهُ
ثُمَّ اقْتَدَى بِسَيْرِهِ مُوَالِي

إِنْ هَبَّ بِالصَّدَقِ إِلَى الْمَعْلُومِ
ثُمَّ اقْتَدَى رَسْمَ طَرِيقِ الْقَوْمِ
مِنْ نَوْمَةِ الْعَادَاتِ وَالرُّسُومِ
فَقَدْ دَنَا مِنْ وَصْلَةِ الْوِصَالِ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ بَحْرِ مَقَامَاتِهِمِ الْعَلِيَّةِ
وَنَسْمَةٌ مِنْ عِطْرِ أَحْوَالِهِمِ الْجَلِيَّةِ

إِذَا دَعَاهُ وَارِدُ الْإِرَادَةِ وَسَلَّمَ الْأَمْرَ لِمَا أَرَادَهُ
فَصَارَ فِي الْإِخْلَاصِ وَالْعِبَادَةِ وَجَانِبَ الْأَحْدَاثِ بِاعْتِرَالِ

فَشَاهَدَ الْأَلْطَافَ مِنْ لَطِيفِ بِكُلِّ سِرٍّ بَاهِرٍ مُنِيفِ
وَذَاقَ مَعْنَى قُرْبِهِ الشَّرِيفِ فِي كُلِّ نُورٍ مِنْ سَنَى الْجَمَالِ

ثُمَّ اهْتَدَى بِالتَّوْبَةِ الْقُدْسِيَّةِ لِقَمْعِ كُلِّ شَهْوَةٍ نَفْسِيَّةِ
وَقَطَعَ كُلَّ عَادَةٍ حَسِيَّةِ وَحَفِظَ حُكْمَ وَقْتِهِ وَالْحَالِ

فَذَاقَ رُوحَ الْحُبِّ مِنْ حَبِيبِ وَشَمَّ مَعْنَى الْقُرْبِ مِنْ قَرِيبِ
وَصَارَ أَوْلَى مُجْتَبٍ مُجِيبِ فِيهِ اسْتَلَذَّ سَائِرَ الْأَهْوَالِ

ثُمَّ اسْتَوَى فِي الْوَرَعِ الْمَحْكُومِ عَنْ كُلِّ مَعْنَى شَبَهَةٍ أَوْ لَوْمِ
بِحِفْظِ حَقِّ الْوَقْتِ وَالْعُلُومِ وَصَوْنِهِ الْقَلْبَ عَنْ اخْتِلَالِ

فَهَاجَهُ شَوْقٌ سَرَى بِلُبِّهِ إِلَى لَطِيفِ لُطْفِهِ وَحُبِّهِ
فَازْتَّاحَ مَعْنَى سِرِّهِ فِي قُرْبِهِ وَذَاقَ مِنْهُ نَسْمَةَ الْوِصَالِ

ثُمَّ اِزْتَقَى فِي الزُّهْدِ فِي مَعَانِي بِهَا رَمَى كُلَّ دَنِيٍّ فَاِنِّي
ثُمَّ اسْتَوَى جَوَاهِرُ الْأَثْمَانِ لَدَيْهِ وَالتَّرْبُ بِبِلَا اِحْتِفَالِ

فَصَارَ عَطْشَانًا عَظِيمَ الشَّوْقِ لِنَفْحَةِ الْوَصْلِ قَوِيمِ الذُّوقِ
تُرْعِجُهُ لَوَاعِجُ الْبُرُوقِ لِقَصْدِ كَشْفِ بُرُقِ الْجَمَالِ

ثُمَّ اعْتَلَى فِي فَقْرِهِ الْمَصُونِ عَلَى الْغِنَاءِ عَنْ كُلِّ مَعْنَى كَوْنِي
فَلَمْ يُبَلِّ بِالْوَصْلِ أَوْ بِالْبَوْنِ بَلِ صَارَ فِي الْحُبِّ بِكُلِّ حَالِ

فَغَابَ فِي مَوْلَاهُ عَنْ مُرَادِهِ وَالْفَرْقُ اسْتَوَى عَلَى فُؤَادِهِ
فَنَسِيَ الْمَعْلُومَ مِنْ أَوْرَادِهِ وَصَارَ كُلُّ الرَّسْمِ فِي اضْمِحْلَالِ

ثُمَّ فَنِي بِالصَّبْرِ عَنْ دَعْوَاهُ وَفَرَّ فِي الْمَحْبُوبِ عَنْ شَكْوَاهُ
وَقَرَّتْ تَحْتَ الْقَهْرِ فِي بَلْوَاهُ حَتَّى اسْتَلَدَّ الْهَجَرَ كَالِإِقْبَالِ

فَفَاحَ عِطْرُ الْحَقِّ مِنْ أَعْطَافِهِ وَفَاضَ سَيْلُ الرَّفْقِ مِنْ أَلْطَافِهِ

وَشُكْرُهُ اسْتَوَى عَلَى أَوْصَافِهِ فَبَاحَ بِالْغَيْبِ وَبِالنَّوَالِ

ثُمَّ التَّجَا لِحْلِمِهِ وَعِلْمِهِ تَوَكَّلًا لَمَّا قَضَى فِي حُكْمِهِ
وَرَاضِيًا فِيمَا ارْتَضَى مِنْ حَتْمِهِ مُرْتَقِبًا لِلْفَيْضِ بِالْإِفْضَالِ

فَذَاقَ طِيبَ الصَّخْرِ بِاسْتِرْوَاكِ رَوْحِ الْهَنَاءِ وَالْوَصْلِ وَالْكِفَاحِ
وَقَرَّ بِالتَّمَكِينِ فِي الْفَلَاحِ فَلَمْ يَنْزِعْ فِي طَلْعَةِ الْجَلَالِ

ثُمَّ اطْمَأَنَّ فِي الرَّضَا فِي السَّرِّ فِي كُلِّ أَمْرٍ طَيْبٍ أَوْ مُرِّ
وَلِلْبَلَا اسْتَحْلَى وَمَسَّ الضَّرَّ وَحَالَهُ الشُّكْرُ بِبَلَا احْتِيَالِ

فَهَامَ قَلْبًا فِي مَعَانِي الْحُبِّ وَطَابَ لُبًّا فِي رِيَاضِ الْقُرْبِ
وَغَابَ عَنْ كُلِّ عَطَا أَوْ سَلْبِ شُغْلًا بِمَا عَايَنَهُ بِالْبَالِ

فَانْطَمَسَتْ تَحْتَ شِعَاعِ الْقُدْسِ أَحْوَالُهُ فِي غَيْبِ طَيْبِ الْأَنْسِ
فَغَابَ عَنْ كُلِّ وُجُودٍ حَسَنِي وَصَارَ فِي وَصْلِ عَلَى اتِّصَالِ

ثُمَّ سَقِي فِي الْحُبِّ مَعْنَى النَّفْعِ وَعَادَ فِي شَأْنِ الْبَقَا وَالْجَمْعِ

فِي خِلْعَةِ التَّمَكِينِ^(١) بَعْدَ الخَلْعِ مِنْ قَبْلِهَا لِسَائِرِ الأَحْوَالِ

وَعَابَ فِي أَسْرَارِهَا المُنِيرَةَ غَيْبَةَ أَخَذِ جَهْرَةَ بَغِيرَهُ
ذَاقَ بِهَا مَعْرِفَةَ فِي حَيْرَةَ يَذُوقُ فِيهَا كُلَّ شُرْبِ^(٢) حَالِي

فَهَامَ فِي سُكْرِ مَعَانِي الذِّكْرِ وَعَامَ فِي بَحْرِ حَلَاوِي الفِكْرِ
وَحَارَ قَلْبًا عِنْدَ كَشْفِ السِّتْرِ أَوْ صَارَ غَيْبًا فِي سَنَى الجَمَالِ

ثُمَّ اجْتَنَى مَعَارِفَ التَّوْحِيدِ مِنْ ثَمَرَاتِ الجِدِّ وَالتَّجْرِيدِ
فَأَفْرَدَ الحَقَّ بِلا تَقْيِيدِ وَحَمَّقَ الحَقَّ بِلا أَمْثَالِ

فَشَاهَدَ الأَغْيَارَ كالمَعْدُومِ وَلَيْسَ إِلاَّ عِزَّةَ القِيُومِ
وَلَمْ يَزَلْ بِالحَقِّ فِي عُلُومِ فِي كُلِّ تَفْصِيلِ بِلا انْفِصَالِ

فَتَارَةَ يَبْهَرُهُ جَلَالُهُ وَرُبَّمَا تَمْهَرُهُ أفعالُهُ
وَتَارَةَ يُبْهَجُهُ جَمَالُهُ فِي كُلِّ مَا يَأْتِيهِ مِنْ نَوَالِ

* * *

رَشْفَةٌ فِي مِسْكِ خِتَامِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ طِيبِ إِكْرَامِهِمْ

خَاتِمَةٌ ذُو الْهِمَّةِ الدِّينِيَّةِ لَا يَرْتَضِي بِحَالَةِ دَنِيَّةِ
بَلْ يَطْلُبُ الْمَكَارِمَ السَّنِيَّةِ يَسْهَرُ فِي تَحْصِيلِهَا اللَّيَالِي

وَيَقْطَعُ التَّسْوِيفَ وَالتَّوَانِي فِي قَصْدِهِ الْقُرْبَ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَيَرْتَقِي بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ إِلَى اعْتِلَا كُلِّ مَقَامٍ عَالِي

وَلَا يَزَالُ مَخْبِتًا لِرَبِّهِ مُسْتَغْفِرًا مِنْ رَيْبِهِ وَذَنْبِهِ
مُعَوَّلًا عَلَى حَيَاةِ قَلْبِهِ بِذِكْرِهِ مَوْلَاهُ بِابْتِهَالِ

مُجْتَهِدًا بِالصَّدَقِ فِي إِقْبَالِهِ وَقَصْدِ وَجْهِ الْحَقِّ فِي أَعْمَالِهِ
وَحِفْظِ عَيْنِ قَلْبِهِ وَبَالِهِ مِنْ ظُلْمَةِ الْأَوْهَامِ وَالْحَيَالِ

يَغْرِسُ بِالتَّوْحِيدِ مَعْنَى الدِّينِ فِي قَلْبِهِ بِغَايَةِ التَّمَكِينِ
لِيَمْتَلِي بِالنُّورِ وَالْيَقِينِ وَيَكْتَسِبِي مِنْ أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ

وَلِيَخْشَ مِنْ فَرْطِ الْهَوَى وَالشَّهْوَةِ
وَمِنْ تَمَادِي غَفْلَةٍ وَقَسْوَةِ
ذَهَابِ مَعْنَى الدِّينِ وَالْفُتُوَّةِ
مِنْ حُبِّهِ الْمَالَ بِمَوْتِ الْبَالِ

فَلْيَفْتَقِدْ أَحْوَالَهُ فِي نَفْسِهِ
وَلْيَبْتَغْتِمُ قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِهِ
وَالْفَرْقَ بَيْنَ يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ
بُلُوغَ مَا يُنْجِيهِ فِي الْمَالِ

فَإِنَّ حَالَ الْقَلْبِ وَالضَّمِيرِ
فَهُوَ إِذَا لَمْ يَخْشَ مِنْ تَحْذِيرِ
يُعْرِفُ عِنْدَ الذِّكْرِ وَالتَّذْكِيرِ
وَلَمْ يَكُنْ بِالذِّكْرِ ذُو اعْتِلَالِ

لَأَنَّ وَصْفَ صَاحِبِ الْإِيمَانِ
وَنَفْعُهُ بِالْوَعْظِ وَالْبَيَانِ
خَشَوْعُهُ بِالذِّكْرِ وَالْقُرْآنِ
وَخَوْفُهُ مِنْ بَطْشِ ذِي الْجَلَالِ

وَحَقُّ ذِي الْإِخْلَاصِ وَالسَّعَادَةِ
أَنْ يَجِدَ الْإِيمَانَ فِي زِيَادَةِ
فِي سَائِرِ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَةِ
فِي كُلِّ مَا زَادَ مِنَ الْأَعْمَالِ

وَأَنْ يَكُونَ طَيِّبَ الْجَنَانِ
وَطَاهِرَ الْأَوْصَافِ وَاللِّسَانِ
مُجْتَنِباً لِلْإِثْمِ وَالْعِضْيَانِ
مُجَانِباً لِلْفُحْشِ فِي الْأَقْوَالِ

فَكُلُّ عَبْدٍ لَمْ يَصُنْهُ دِينُهُ
وَلَمْ يَزِدْ بِطَاعَةِ يَقِينُهُ

وَقَلْبُهُ اسْتَوَىٰ عَلَيْهِ رَيْنُهُ مِنْ قَلَّةِ الدِّينِ بِلا إِشْكَالِ

فَلْيَجْتَهِدْ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ قَبْلَ هُجُومِ الْمَوْتِ وَالْفَوَاتِ
وَلْيَعْتَنِمِ فَوَائِدَ الطَّاعَاتِ وَلْيَسْتَقِمِ فِي قِبَلَةِ الْإِقْبَالِ

وَلْيَكُنِ الْحَقُّ افْتِتَاحَ فِكْرِهِ وَخَتْمَهُ فِيمَا بَدَأَ مِنْ ذِكْرِهِ
أَوْ مَا خَفِيَ فِي جَهْرِهِ وَسِرِّهِ فِي سَائِرِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ

مَعْتَمِداً فِي هَمِّهِ عَلَيْهِ وَطَالِباً لِلْخَيْرِ مِنْ يَدَيْهِ
وَنَاطِراً مُرَاقِباً إِلَيْهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ فِي الْإِجْلَالِ

مُسَافِراً بِفِكْرِهِ فِي كَوْنِهِ يَرَى ظُهُورَ الْحَقِّ فِي بُطُونِهِ
وَحِكْمَةَ الْإِبْدَاعِ فِي فُنُونِهِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ سَنَى الْجَمَالِ

يَرَى لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةً تَهْدِي إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْهُدَايَةَ
تَبْدُو لِأَهْلِ الْفَهْمِ قَبْلَ الْغَايَةِ وَبَعْدَهَا فِي سَابِقِ وَتَالِيِ

فَلْيَلْتَجِئِ الْعَبْدُ إِلَى غَفَّارِ يَطْلُبُهُ بِأَبْلَغِ افْتِقَارِ
مَلَازِمًا بِأَعْظَمِ انْكِسَارِ مُعْتَرِفاً بِالْعَجْزِ وَالْإِقْلَالِ

فَإِنَّهُ إِنْ دَامَ فِي الْأَذْكَارِ وَلَا زَمَ الْإِمْعَانُ بِالْأَفْكَارِ
فَسَوْفَ يَأْتِي الْفَتْحُ بِالْأَنْوَارِ وَالْمَنْحُ بِالْأَسْرَارِ وَالْمَنَالِ

فَلَمْ تَزَلْ مِنْ نَفْحَاتِ الْجُودِ وَوَابِلِ الْأَلْطَافِ فِي الْوُجُودِ
هَوَاطِلٌ جَلَّتْ عَنِ الْحُدُودِ تُبَلِّغُ الْأَمَالَ ذَا الْأَمَالِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِكْمَالِ لِرَشَفَاتِ الْمَشْرَبِ الْإِفْضَالِ
وَنَسَمَاتِ الْقُرْبِ وَالْإِيصَالِ ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَبْدِيِّ
وَالِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ هُدِي حَمْدًا يُوَافِي الْفَضْلَ بِالْكَمَالِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَبْدِيِّ عَلَى النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدِ
بِهَدْيِهِ إِلَى مَقَامِ عَالِي حَمْدًا يُوَافِي الْفَضْلَ بِالْكَمَالِ
وَالِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ هُدِي بِهِدْيِهِ إِلَى مَقَامِ عَالِ

تمت بحمد الله وعونه
